مفهوم المعرفة ومنهجها عند أبي بكر الكلاباذي والأمير عبد القادر الجزائري

إعداد

أ.د مديحة حمدي عبدالعال
أستاذ الفلسفة الإسلامية
كلية الآداب جامعة الفيوم

رانا اسماعيل
باحث ماجستير فلسفة
كلية الآداب جامعة الفيوم

مديحة حمدي عبد العال، رانا إسماعيل(2023). مفهوم المعرفة ومنهجها عند أبي بكر الكلاباذي والأمير عبد القادر الجزائري.- حولية كلية الآداب. جامعة بني سويف. مج 12:ج 1. ـ ص ص 140- 115

المستلخص:

تعد المعرفة من أهم قضـايا التصـوف الإسـلامي. وتزداد أهميتها إذا ما قورنت بآراء الصـوفية الخلص وأفكارهم وكذلك الصـوفية المتفلسـفين، حيث تشـترك مع العديد من قضـايا التصـوف الكبرى. ومن أهمها الوجود والفناء والإنسان والحب الإلهي، وقد اعتمدت في الدراسة على المنهج التحليلي المقارن.

الكلمات الدالة : الروح- المعرفة- الجسد - الفلسفة الإسلامية- أبو بكر الكلاباذي- الأمير عبد القادر الجزائري

مقدمة :

تعد المعرفة من أهم قضايا التصوف الإسلامي، إذ إن التصوف في أدق مفاهيمه يعني المعرفة بالله؛ فكل صوفي يطلب رضا الله والقرب منه؛ وهذا يتبلور في المعرفة بالله؛ فالمعرفة هي عماد التجربة الصوفية. ويعد كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف لأبي بكر الكلاباذي من أهم الكتب التي تؤصل لقضية المعرفة، كما أن أبرز القضايا التي بحث فيها الصوفي الكبير الأمير عبد القادر الجزائري في كتابه المواقف هي المعرفة.

والبحث في المعرفة لديهما يرتبط بطبيعة المعرفة وأداتها ومنهجها. ولهذا فإن قوامها لديهما يعتمد على: الكتاب والسنة. فما يتركه الصوفي من آراء في قضايا التصوف الكبرى؛ لا يخرج قطعا عن المعرفة بالله. بل إن حركات الصوفي وسكناته ترتبط بعبادة الله ومعرفته. كما أن المعرفة لديهما ترتبط بالفناء والوجود والكشف والقلب والروح والبصيرة.

وتكتسب المعرفة الصوفية في هذه الدراسة تميزاً خاصاً، إذ أنها ترتبط من حيث شقيه بنماذج من شخصيات تجمع بين قضايا التصوف بشقيه السني الخالص والفلسفي.

منهج الدراسة:

ولكي أكشف عن المعرفة الصوفية، وطبيعتها، ومفهومها ومنهجها وأداتها عند الكلاباذي والأمير عبد القادر الجزائري وأوضح أهميتها لديهما، نهجت نهجا تحليليا ومقارنا في ذات الوقت؛ وذلك بهدف تكوين نسق متكامل للمعرفة الصوفية لديهما. ومن خلال المنهج المقارن سنقارن آراء الكلاباذي بآراء الأمير عبد القادر الجزائري، ولنبين الجديد الذي أضافه الأمير عبد القادر الجزائري في مجال التصوف الفلسفي بصفة خاصة، وفي مجال الفلسفة الإسلامية بصفة عامة. ولعل ذلك المنهج هو المنوط به تعزيز أهمية قضية الدراسة التي نحن بصددها.

الدراسات السابقة :

لا توجد دراســات ســابقة حتى الآن (على حد علمي) عن الكلاباذي. ولكن هناك دراسات محدودة عن الأمير عبد القادر الجزائري، منها:

1ـ دراسة أ د / أحمد محمود الجزار : الله والإنسان عند الأمير عبد القادر الجزائري ، منشأة المعارف، الإسكندرية ، 1999 م .

2ـ دراسة د / سيد عبد الحميد : التصوف العملي عند عبد القادر الجزائري ومشروعة الحضاري، مراجعة : عصمت نصار ، تقديم : حسن حفني ، الطبعة الأولى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2017 م .

3ـــ دراسة أ د / مديحة حمدي عبد العال : روحية الجسد وجسدية الروح عند الأمير عبد القادر الجزائري ، بحث منشــور في مجلة كلية الآداب- جامعة حلوان- العدد 37 ، 2015 م .

أهمية الدراسة:

تكشـف لنا الدراسـة في قضـية المعرفة عند أبي بكر الكلاباذي والأمير عبد القادر الجزائري عن حاجة المكتبة العربية لدراسات جديدة عن المعرفة الصوفية، وموضوعها وأهميتها من خلال الكلاباذي والذي يمثل التصـوف السـني الخالص في الدراسـة، والأمير عبد القادر الجزائري والذي يمثل التصــوف الفلســفي، ومن هنا تكمن أهمية الدراســة في كونها معالجة لقضـية مهمة من خلال منظورين: أحدهما: صـوفي خالص، والآخر: صـوفي متفلسـف. ومن هنا تكشــف لنا الدراســة عن تجربة روحية يعيد فيها الإنســان اكتشــاف معرفته بالله، فيدرك العارف وجه الحقيقة التي تملأ ظاهر الوجود وباطنه.

إشكالية الدراسة :

تعد هذه الدراســـة من الدراســـات البكر عن مفهوم المعرفة ومنهجها عند الكلاباذي والأمير عبد القادر الجزائري"، وبالتالي تفتح المجال أمام الباحثين والدارسين في مجال البحث العلمي، والتي تتناول أهم الآراء الروحية عن مفهومها وموضـــوعها وأداتها ومنهجها، وارتباط هذا التحليل بالله من ناحية وبالعالم وما فيه من ناحية أخرى.

وتتضمن إشكالية الدراسة هذه التساؤلات:

كيف فسر الكلاباذي والأمير عبد القادر الجزائري قضية المعرفة الصوفية ؟

هل تأثر الكلاباذي والأمير عبد القادر الجزائري في تحليلهما للمعرفة بالكتاب والسنة؟

ما هو مفهوم المعرفة؟ وما هي طبيعة المعرفة؟ وما هي أداة المعرفة؟ وما هو منهج المعرفة؟

وهل اختلف المنهج ما بين التصوف السني الخالص وبين التصوف والفلسفي؟

وللإجابة على هذه التســـاؤلات ناقشـــنا آراء أبي بكر الكلاباذي والأمير عبد القادر الجزائري في هذه القضية من خلال أربعة مباحث:

أولاً: مفهوم المعرفة.

ثانيا : موضوع المعرفة.

ثالثاً : أداة المعرفة الصوفية .

رابعاً: منهج المعرفة.

وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً: مفهوم المعرفة عند الكلاباذي والأمير عبد القادر الجزائري:

أ : مفهوم المعرفة عند الكلاباذي:

ينسب الصوفى كل معرفة بالله إلى الله نفسه؛ لأنه هو الذى يرفع عن العارف حجاب الغيرية والأثنينية ،بحيث يصـــبح العارف عين المعروف([1]).وهنا يتبنى الكلاباذى ([2]) قول الجنيد :" المعرفة وجود جهلك عند قيام علمه، قيل له زدنا قال : هو العارف وهو المعروف ، وهو كما قال سهل : المعرفة هى المعرفة بالجهل "([3])

فالعارف جاهل من حيث هو والعلم قائم بالحق فالله دلنا على معرفة نفســـه أي تولى ذلك بنفســـه ولم يكله إلى غيره ففى الحقيقة لا عالم ولا عارف إلا الله فهو العارف وهو المعروف وهو الذى عرفت به المعارف، فقد أوضـــح الكلاباذى" أنه يعرفه إلا من تعرف الله إليه ولا يوحده إلا من رآه أنه واحد".([4]) إذن معرفتنا بالله قائمة على الإيمان بالله وبتوحيده ،

---

[1] – عبد المنعم الحفنى :الموسوعة الصوفية ، الطبعة الخامسة ، مكتبة مدبولى ، 2006 م ، ص 1274 .

[2] – الإمام العالم العارف تاج الإسلام أبى بكر محمد بن إسحق البخارى الكلاباذى (380 هـ – 990 م)، أطلقوا عليه تاج الإسلام لعلمه وفضله ، فقد كان موسوعة ، وكان من علماء الصوفية ، له كتاب "التعرف لمذهب أهل التصوف " وهو من أقدم وأدق وأصفى ما كتب عن هذا العلم ورجاله فقد جمع فيه مذهبهم وأحوالهم ، فكتابه صورة للتصوف في زمنه وهو القرن الرابع الهجرى ، وقالوا في كتابه :"لولا التعرف لما عرف التصوف " وكان عالماً أصولياً ، ومن مؤلفاته :"الأربعون" في الحديث و "الأشعاع والأوتار " ، و " آمالى " في الحديث ، و " بحر الفؤاد" المشهور ب "معانى الأخبار" ، وغير ذلك .

[3] –أبو بكر الكلاباذى : التعرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق ، عبد الحليم محمود وطه عبد الباقى سرور ، الطبعة الأولى ، مكتبة الثقافة الدينية ، 1424 هـ ، 2004 م ، ص 66 .

[4] – أبو بكر الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف ، مصدر سابق ، ص 63 .

أى المعرفة التى تليق بألوهيته وبكمال عبودية الإنسان له وحده ([1]) .وفى ذلك يتفق الكلاباذى مع الأمير عبد القادر([2]) بوصفه صوفياً متفلسفاً فيقرر أنه: " لا نور إلا العلم بالله – تعالى – ولا حياة إلا به ، ولا موت ولا ظلمة ، إلا الجهل بالله – تعالى – والغفلة عنه "([3]). ويتبين لنا مما سبق أن المعرفة بالله نور من الله يهبه إلى من يشاء من عباده .

درجات المعرفة عند أبي بكر الكلاباذى :

أولا: معرفة حق.

ثانياً: معرفة حقيقة.

يؤكد الكلابازي أن : "فمعرفة الحق :إثبات وحدانية الله على ما أبرز من الصفات ، ومعرفة الحقيقة : على أن لا سبيل إليها ،لامتناع الصمدية وتحقيق الربوبية عن الإحاطة،

---

[1]– أحمد محمود الجزار: المعرفة عند أبى سعيد ابن أبى الخير، منشأة المعارف، الإسكندرية ، 2000م، ص 19 .

[22] – هو المجاهد الكبير والعالم والصوفى الأديب والشاعر الأمير عبد القادر بن محى الدين الجزائرى من الشعراء البسلاء ، ولد في 1222 هـ ، توفى 1300 هـ ، وذلك بقرية اليقطنة بالجزائر ، قضى فترة من حياته في رحلة تعلم ومشاهدة ومعايشة للوطن العربى ،درس الفلسفة والفقه والنحو والتوحيد والمنطق فقد اكتمل له العلم الشرعى والعقلى ، والخبرة العسكرية في ميدان القتال ، هذا إضافة إلى ذهده وسلوكه طريق التصوف وقرائته لأشهر كتب الطريقة والحقيقة .وترك مؤلفات عدة منها : المواقف الروحية والفيوضات السبوحية وهو أشهر كتبه ، إجابات الأمير عبد القادر ، رسالة في شرح سورة التكوير ، تعليقات على حاشية جده عبد القادر ، الصافنات الجياد ، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل ، المقراض الحاد لقطع لسان أهل الباطل والإلحاد . وله منظومات وأشعار منها : قصيدة في مدح شيخه الفاسى بمكة المكرمة ، قصيدتان على لسان أهل الله ، ديوان شعر .

[3] – الأمير عبد القادر :المواقف الروحية والفيوضات السبوحية ، اعتنى به ، عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي، ج1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1425 هـ ، 2004 م ، ص64 .

قال تعالى: "ولا يحيطون به علما" سورة طه ، الآيه 110 ،لأن الصمد هو الذي لا تدرك حقائق نعوته وصفاته" ([1]). يتضح لنا مما سبق ان المعرفة لدى الكلاباذى هى إثبات وحدانية الله تعالى فإن الموجودات والصنع الحادث في الوجود يدل على وجود الصانع بل يدل على قدرته وإرادته وعلمه ،فالذى انتهت إليه معرفة العارفين من صفاته هو ما أبرزه لهم في أفعاله لا حقائق الصفات على ما هى عليه فكيف بحقيقة الذات([2]). وليس معنى إثبات الصفات أنه محتاج إليها وأنه يفعل الأشياء بها ولكن معناها : "نفى أضدادها وإثباتها في أنفسها ،وأنها قائمات به" على حد قول الكلاباذى ([3]). فإن صفاته تعالى ليست كصفات غيره من الموجودات لأن صفاته تعالى لها الكمال الوجودي للذات الإلهية ([4]).

فالمعرفة لدى الكلاباذي تعنى عدم إحاطة المخلوق بالخالق في معرفته سبحانه للعارف بالله سبحانه وتعالى دون أن يدركه أو يحيط به وهو أيضا مما يتفق مع تعاليم الكتاب والسنة([5]) في هذا المعنى تحديدا يتبنى الكلاباذي قول الجنيد حين سئل عن المعرفة فقال : "هي تردد السر بين تعظيم الحق عن الإحاطة وإجلاله عن الدرك"([6]) ؛وهنا يتفق الكلاباذي مع صوفية الإسلام فيقول الطوسي :"إن المعرفة على الحقيقة لا سبيل إليها لأن الله تعالى ابرز خلقه من أسمائه وصفاته ما علم أنهم يطيقونه ؛ ذلك لأن حقيقة معرفته لا يطيقها لا خلق ولا ذرة منها.... ؛لأن الصمدية ممتنعة عن الإحاطة والإدراك ،وقد حكى في هذا المعنى

---

[1] – أبو بكر الكلاباذي ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، مصدر سابق ، ص132 .

[2] – القونوى : حسن التصرف في شرح التعرف ، مخطوط ، دار الكتب المصرية ، ص193 .

[3] – المصدر السابق ، ص 36 .

[4] – أحمد محمود الجزار : المعرفة عند أبى سعيد ابن ابى الخير ، مرجع سابق ،ص20 .

[5]–عبد الحي محمد قابيل :في التصوف الإسلامي نشأته وتطوره ، الطبعة الأولى دار الوفاء ، الإسكندرية ، 2014 ، م ، ص 202 .

[6]– أبو بكر الكلاباذي ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، مصدر سابق ، ص133 .

عن أبى بكر الصـــديق رضـــي الله عنه ، أنه قال :"ســبحان من لم يجعل للخلق طريقا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته"([1]). وهو ايضاً ما يقرره ابن عطاء الله السكندرى :" فإن منتهى معرفة عباده أن يعرفوا أنه يستحيل منهم معرفته الحقيقية ولا يعرف أيضـاً ذلك بكماله إلا نبى أو صـديق ، أما النبى فيعبر عنه ويقول :"لا أحصـى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسـك" وأما الصديق فيقول: "العجز عن درك الإدراك إدراك "([2]).

درجات العارفين عند أبو بكر الكلاباذى :

أولا : معرفة الخواص (معرفة التعرف).

ثانياً : معرفة عامة المؤمنين (معرفة التعريف).

أما العارفين في المعرفة لدى الكلاباذى فهم على قسمين ، فمنهم من حصلت معرفته بطريقة التعرف وهى معرفة الخواص ، ومنهم من حصـــلت معرفته بطريقة التعريف وهى معرفة عامة المؤمنين . ولتوضـــيح هذا يتبنى الكلاباذي قول الجنيد :"المعرفة معرفتان معرفة تعرف ومعرفة تعريف ،معنى التعرف :أن يعرفهم الله عز وجل نفسـه ويعرفهم الأشـياء به ، كما قال إبراهيم عليه السـلام :"لا أحب الآفلين" سـورة الأنعام ، الآيه 76 .وهذه معرفة الخواص ،ومعنى أن يريهم آثار قدرتـه في الأفـاق والأنفس ،ثم يحـدث فيهم لطفـا : تـدلهم الأشياء أن لها صانعا وهذه معرفة عامة المؤمنين ،وكل لم يعرفه في الحقيقة إلا به ".([3])

---

[1]– أبو نصر السراج الطوسي :تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثة بمصر، دار المكتبة المثنى ببغداد ، 1380 هـ ، 1960 م ، ص 57 ، 56 .

[2] – ابن عطاء الله السكندرى :مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح ، الطبعة الأولى ،مطبعة السعادة ، ص 40 .

[3] – أبو بكر الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف ، مصدر سابق ، ص64 .

يتبين لنا مما سبق أن كل من صاحبي التعرف والتعريف لم يعرف الحق سبحانه وتعالى إلا به ،فهذه المعرفة التي قد تحدث للإنسان المؤمن الساعي إليها ،إنما هي ليست من قبيل الكسب الشخصي ، أي ليست مما حصلت عليه يداه بجهده ولكنه من قبيل الوهب والمنة التي يمن الله بها على عبده المؤمن .([1]) أي أنها منحة من الله لمن اختصهم الله بمعرفته أى أهل الاختصاص .

ب : مفهوم المعرفة عند الأمير عبد القادر الجزائري:

المعرفة هى أول فرض افترضه الله على عباده بدليل قوله تعالى :"وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون "سورة الذاريات ،الآيه 56 ،قال ابن عباس أى ليعرفوه ([2]). وهنا يشير الأمير عبد القادر إلى أن "القصد الأول من خلق المخلوقات هو معرفة الحق تعالى ، لأن العبادة فرع المعرفة وثمرتها ".([3]) وهو ما يؤكد عليه أيضاً ابن عطاء الله السكندرى فيقول :"قد فرض الله تعالى على الخلق من إنس وجن وملك وشيطان معرفة ذاته وأسمائه وصفاته".([4])

نستنتج مما سبق أن العبادة الخالصة لله لا تتحقق إلا بالمعرفة به ، فكمال العبودية لله تتناسب طرديا مع المعرفة به ، فلا يعبد الله حق العبادة إلا من عرفه حق المعرفة ، فمعرفة الله وعبادته هي الغاية التي لأجلها خلق الإنسان ([5]) .

---

[1] –عبد الحي محمد قابيل : في التصوف الإسلامي نشأته وتطوره ، مرجع سابق ، ص203.

[2]– السلمي : المقدمة في التصوف ، مصدر سابق ،ص30 .

[3] – الأمير عبد القادر : المواقف ، ج1 ، مصدر سابق ، ص 113 .

[4] – إبن عطاء الله السكندرى : مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح ، مصدر سابق ، ص 40 .

[5] - مديحة حمدي : المعرفة الصوفية: دراسة في مؤلفات أحمد الجزار، بحث منشور ضمن بحوث المؤتمر السنوي الدولي الثالث لقسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، تحت عنوان: كيف نقرأ الفلسفة؟ في الإبداع ونقد النقد، والمنعقد في 7–8 نوفمبر 2017م.، ص 545 ، 546 .

فإن الحق تعالى أمر عباده بطلب الهداية إلى الصراط المستقيم لقوله تعالى :"اهدنا الصراط المستقيم "سورة الفاتحه ،الآيه 6..."والصراط المستقيم هو صراط أهل معرفته ـ تعالى . ومعرفته تعالى لا نهاية لها لأن معرفته هي معرفة كمالاته ، وكمالاته تعالى لا نهاية لها "([1])، فمن ذلك تكون المعرفة عند الأمير هي معرفة الله بأسمائه وصفاته ، "فأشار الجنيد إلى ان العارف لا يعرف أنه عارف وأن المعرفة نعته ؛ إلا إذا ظهر متخلقاً متحققاً بالأسماء والصفات الإلهية "([2]). أما فيما يخص طريق العقل والنظر كما يوضح الأمير عبد القادر :" فإن ذلك ليس بعلم عند الطائفة العليا لما يطرأ عليه من الشبهة والشكوك... وأما الزيادة من الأحكام الشرعية فإنه صلى الله عليه وسلم كان ينهى أصحابه الكرام عن السؤال خوفاً من زيادة الأحكام رحمة بأمته"([3]).

وهنا يتضح لنا تأثير الأمير عبد القادر بمعلمه وشيخه ابن عربى حيث يقرر الأخير "أن صور التجليات ما لها نهاية يقف العارف عندها ، وكذلك العلم بالله تعالى ما له غاية في العارفين يقف عندها بل العارف في كل زمان يطلب الزيادة من العلم ([4])".

وعلى قدر درجة صفاء القلب تكون درجات المعرفة .

فالمعتقدون في الحق ـ تعالى ـ على نوعين :

(النوع الأول يقيد إلهه في اعتقاده ، والنوع الآخر يعتقد في إلهه الإطلاق)، ويوضح الأمير ذلك بقوله: " فمن قيده لا يعرفه إلا مقيدا بما قيده به في الدنيا والآخرة ، فإنه لا يعرف

---

[1] – الأمير عبد القادر : المواقف ،ج1 ، مصدر سابق ، ص 60 .

[2] – المصدر السابق ، ص 66 .

[3] – الأمير عبد القادر : المواقف ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 375 .

[4] – ابن عربي : رسائل ابن عربي ، تحقيق ، سعيد عبد الفتاح ، الانتشار العربي ، ص 194 ..

ربه إلا مقيداً بما قيده به من الصور في اعتقاده ...وينكره إذا تجلى له في غير الصورة التي قيده فيها ويتعوذ منه أما النوع الآخر من المعتقدين فهو من أطلقه فما حصره في صورة دون صورة ولا في اعتقاد دون اعتقاد فهذا النوع هو الذي أطلق إلهه لم ينكره وأقر له بأنه ربه في كل صورة يتحول الحق إليها ويتجلى له فيها على حد قول الأمير عبد القادر"([1]). فعلى قدر ترقى العارف في درجات المعرفة بالله يشهد تجلى الله في الوجود .

وقد فسر الأمير عبد القادر أن الأسماء الإلهية ، هي منشأ تكسر الاعتقادات والأسماء الإلهية لا تكرار فيها "فإن كل صورة من صور التجلي هي مظهر لاسم خاص بها والأسماء الإلهية لا تكرار فيها ، بل كل اسم يختص بمعنى وإن تقاربت الأسماء وتشابهت " ([2]) وتلك الأسماء الإلهية على اختلاف معانيها ومدلولاتها فإنها ترجع إلى عين واحدة وهو الحق تعالى اى ان كل تجلى من التجليات الإلهية تظهر على قلب العارف على قدر قربه من الله ، وعلى قدر صفاء قلب العارف يتدرج في درجات المعرفة بالله .

وفى هذا يتفق الأمير عبد القادر مع أبو بكر الكلاباذى السابق عليه فالمعرفة قوامها معرفة الله بأسمائه وصفاته ، ولكن الأمير عبد القادر بوصفه صوفياً متفلسفاً يتفرد بالحديث عن تجليات الألوهية في الوجود .

---

[1] – المصدر السابق ، ص 235 .

[2] – الأمير عبد القادر : المواقف ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 370 .

ثانياً : موضـــوع المعرفة عند الكلاباذي والأمير عبد القادر الجزائري :

أ : موضوع المعرفة عند الكلاباذي:

أول ما يتعين تحديده بالنسبة للمعرفة هو بيان موضوعها لأنها أشرف الموضوعات وأعز المعلومات ،فالصوفي يتوجه منذ البداية إلى معرفة الله ولا يريد معرفة سواه لأن الكل به ومنه من حيث وجوده([1]).

وإن كان الحق تعالى هو الموضوع الأسمى الذي يتعين على الصوفي أن يتوجه إليه وحده بغية معرفته، بكل ذرة من كيانه فإن شهود صفاته هي المعرفة الحقة ([2]).وهذا ما يؤكده الكلاباذى بقوله :" المعرفة معرفتان :معرفة حق ومعرفة حقيقة ، فمعرفة الحق : إثبات وحدانية الله على ما أبرز من الصـــفات ، ومعرفة الحقيقة : على أن لا ســـبيل إليها لإمتناع الصمدية وتحقيق الربوبية عن الإحاطة "([3]). نستنتج مما سبق أن المعرفة لدى الكلاباذى هى معرفة الله بأسمائه وصفاته ، ولكن فيما يخص حقيقة الصفات أو حقيقة ذاته تعالى لا سبيل إلى معرفتها ، وهنا يتفق الكلاباذى مع الأمير عبد القادر الذى يؤكد على أن "العلم المأمور

---

[1] – أحمد محمود الجزار : الفناء والحب الإلهي عند ابن عربي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، 2006 ، ص 140.

[2] – أحمد محمود الجزار : المعرفة عند أبى سعيد بن أبى الخير ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 2000 م ،ص 19

[3] –أبو بكر الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف ، مصدر سابق ، ص132 .

به هو العلم بألوهية الإله واختصـــاصـــه بمرتبة الألوهية لأن العلم بذات الإله محال ،إذ العلم يقتضى الإحاطة بالمعلوم والإحاطة بذاته محال "([1])،

ويتضـــح لنا من آراء الكلاباذى أن : موضـــوع المعرفة هو الذات العليا بصـــفاتها وأســـمائها وهذا مما لا يدرك بالعقل ،لأنه لا طاقة للعقل على إدراكه ([2])،وهنا يتبنى الكلاباذى قول ابن عطاء : "فإن العقل آلة للعبودية لا للإشراف على الربوبية "([3]) .

وفى ذلك يتفق أبو بكر الكلاباذى مع الأمير عبد القادر فيقرر الأخير :"إن للعقل حداً يقف عنده من حيث هو عقل ، ونهاية لا يتعداها ، وإنما شـــرف العقل وكماله ، هو قبوله لما تأتى به الرسل – عليهم السلام – من ربهم"([4]).

ب : موضوع المعرفة لدى الأمير عبد القادر الجزائري:

المعرفة التي ينشدها الأمير عبد القادر هى المعرفة التي تتعلق بالألوهية فقط ،لا من جهة إثبات الذات ولكن من ناحية شـهود صـفاتها وذلك هو الموضـوع الذى ينبغي أن تتوجه إليه طاقة الصوفي،([5])

فإثبات وجود الله أمر بديهى عند صـــوفية الإســـلام وغير مطروح هذا الأمر عند الصـــوفية الســـنيين ومنهم أبو بكر الكلاباذى وكذلك الصـــوفية المتفلســـفين ومنهم الأمير عبد القادر ،وهنا يظهر لنا اتفاق الأمير عبد القادر مع الكلاباذى السابق عليه .

---

[1] –الأمير عبد القادر : المواقف ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 310 .

[2] – أحمد محمود الجزار : الفناء والحب الإلهي عند ابن عربي ، مرجع سابق ، ص129 .

[3] – أبو بكر الكلاباذى :التعرف لمذهب أهل التصوف ، مصدر سابق ، ص 63

[4] – الأمير عبد القادر : المواقف ، ج1 ، مصدر سابق ، ص230 .

[5] – أحمد محمود الجزار ، المعرفة عند أبى سعيد بن أبى الخير ، مرجع سابق ، ص19 .

فيؤكد الأمير عبد القادر أن" فالعلم المأمور به هو العلم بألوهية الإله واختصاصه بمرتبة الألوهية لأن العلم بذات الإله محال ،إذ العلم يقتضى الإحاطة بالمعلوم والإحاطة بذاته محال "([1])، فإن الكلام في الذات الإلهية من حيث هي ذات لا يستحسنه الأمير عبد القادر وإنما يفضل عليه الكلام في الإلوهية وصفاتها ([2]).

ويستدل الأمير عبد القادر القادر بقوله تعالى :"فاعلم أنه لا إله إلا الله"سورة محمد الآيه 19،" فالحق تعالى إنما أمر عباده بمعرفة مرتبة ذاته ، وهى الألوهية وما أمرهم بمعرفة ذاته التي هي الغيب المطلق بل نهاهم عن طلب ذلك ....فالذات من حيث هو لا يدرك حساً ولا عقلاً ولا كشفاً([3])".بل ليس هذا فقط هو ما يمنع الحديث عن الذات الإلهية من جهة الشرع ، وإنما لأن العلم في حقيقته يقتضى الإحاطة بالمعلوم على ما هو عليه وهذا لا ينسحب على الذات الإلهية ، لأن الإحاطة بذاته تعالى عين المحال ([4]).

وإذا كانت الذات الإلهية لا تعرف على هذا النحو فلم يبق إلا العلم بالألوهية ([5]). يتبين من ذلك اختصاصه سبحانه وحده بالألوهية دون سواه ؛ إذ لا غير ولا سوى ، ومن ثم فله التفرد بالألوهية والأحدية دون سواه ([6]). فالمعرفة لا تكون إلا لله وحده عز وجل ، فالحق

---

[1] –الأمير عبد القادر : المواقف ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 310 .

[2] – أحمد محمود الجزار : الله والإنسان عند الأمير عبد القادر الجزائري ، دار الوفاء ، الطبعة الأولى ، الإسكندرية ، 2015 ، ص 16 .

[3] –الأمير عبد القادر : المواقف ، مصدر سابق ، ج1 ، ص 84 .

[4] – أحمد محمود الجزار : الله والإنسان عند الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص16 .

[5] – أحمد محمود الجزار : الله والإنسان عند الأمير عبد القادر الجزائري ، مرجع سابق ، ص 17 .

[6] – مديحة حمدى : الألوهية عند القاشانى ، مرجع سابق ، ص 187 .

تعالى هو الموضــوع الأســمى الذي ينبغي على الصــوفي أن يتوجه إليه وحده بهدف معرفته وبالتالي فإن معرفة الإلوهية هي أكمل صور المعرفة([1]).

يتبين لنا مما سبق أن موضوع المعرفة هو الله تعالى وحقيقته ولا يهتدي إلى موضوع المعرفة الأسمى إلا أولئك الذين خصهم الله بأنوار هدايته وكرامته من عباده العارفين .([2])

ثالثاً : أداة المعرفة عند الكلاباذي والأمير عبد القادر الجزائري:

أ : أداة المعرفة عند الكلاباذي:

أجمع الصوفية على أن الدليل على الله هو الله وحده وسبيل العقل عندهم سبيل العاقل في حاجته إلى الدليل،لأنه محدث ،والمحدث لا يدل إلا على مثله .وهنا يتبنى أبو بكر الكلاباذي قول النوري :"أن الدليل على الله هو الله ،والعقل عاجز لا يدل إلا على عاجز مثله"([3])

فالهادي والدليل الحقيقي هو الله تعالى فالعقل يحتاج إلى الله تعالى في حصـــول المعرفة، وعلى ذلك يكون العقل لدى أبو بكر الكلاباذي قاصـــر على إدراك الحقائق الإلهية ففي الحقيقة لم يدل المحدث إلا على المحدث ولا العاجز إلا على العاجز .

---

[1] – إبراهيم محمد رشاد إبراهيم : النزعة الصوفية عند ابن رجب الحنبلي ، جامعة جنوب الوادي ، ص 462

[2] – آمال محمد عامر : نظرية المعرفة عند أبن عربى ، مجلة كلية الآداب ، العدد الأول ، جامعة مصراته ، ص 286

[3] – أبو بكر الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف ، مصدر سابق ، ص 63 .

ب: أداة المعرفة عند الأمير عبد القادر الجزائري :

أداة المعرفة ليست حاسة من الحواس الظاهرة ، ولا عقلا يعتمد على الدليل والبرهان ، ولكنها شئ آخر أسمى وأرقى من الحواس الظاهرة والعقل ، يسميها الغزالي، النور أو القلب أو العقل ، ويسـميها ابن الفارض مرة بالنفس وتارة بالروح وطوراً بالقلب ، إلى غير ذلك من الأسـماء التي وإن اختلفت في ظاهرها تدل على شـئ واحد ([1]) فبالقلب يتشـرف الإنسـان بالمعرفة بالله وبالترقي في مراتبها المتعددة ، وقد اتفق الصوفية على أن قلب العارف هو الذي يعرج إلى السماء ، فالقلوب لديهم ، هي مجلى تجلى الحق تعالى ، وهى التي وسعته : بالعلم والمعرفة ([2])

وليؤكد الأمير عبد القادر مقاصده استدل بقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :"إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلا صوركم ، وإنما ينظر إلى قلوبكم " لأنها هى الإنسان الحقيقى ، وهى محل تجلى الحق – تعالى – ، وهى التى وسعته : بالعلم والمعرفة ، والظهور بالأسـماء والصـفات ، كما ورد في الخبر النبوي القدسـي أن الله تعالى يقول :" ما وسـعني أرضى ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن الهين الورع "([3])

[1] – المرجع السابق ، ص 250 .

[2] – مديحة حمدي :المعرفة الصوفية ، مرجع سابق ، ص 547 .

[3] –الأمير عبد القادر :المواقف ، مصدر سابق ، ج1 ، ص156 .

رابعاً : منهج المعرفة لدى الكلاباذي والأمير عبد القادر الجزائري:

أ : منهج المعرفة عند الكلاباذي:

إن المعرفة الحقيقية بالله ليست العلم بوحدانيته التي يؤمن بها المؤمنون جميعا ، كما أنها ليست من علوم البرهان والنظر التي هي علوم الحكماء ، ولكنها صفات الوحدانية التي لأولياء الله خاصة ، لأنهم هم الذين يشاهدون الله بقلوبهم فيكشف لهم ما لا يكشفه لغيرهم من عباده ([1])، فالكشف كما يعرفه الطوسى "هو بيان ما يستتر على الفهم فيكشف عنه للعبد كأنه رأى عين "([2]).

فالمعرفة التي يصل إليها الصوفي معرفة مباشرة بغير وسائط من مقدمات أو قضايا أو براهين أنها معرفة فوق عقلية ، لا يحوزها إلا من سلك سبيل التصوف والهم المعرفة المباشرة ، ومن هنا أيضاً تسمى المعرفة كشفاً .([3])

ب : منهج المعرفة عند الأمير عبد القادر الجزائري:

تعد المعرفة عند الصوفية الغاية العليا من وجود الإنسان ، ومن ثم فهي– لديهم . ذوقية تأتى نتيجة لاتصال العبد بربه ([4]) فمعرفة الله تعالى لا تحصل إلا بالكشف فإن "القصد

---

[1] – رينولد نيكلسون : في التصوف الإسلامي وتاريخه ، تعليق أبو العلا عفيفي ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، 1366 هـ ، 1947 ، ص 115 .

[2] – الطوسى: اللمع ، مصدر سابق ، ص422 .

[3] – عبد الرحمن بدوى : تاريخ التصوف الإسلامى من بدايته حتى نهاية القرن الثانى ، الطبعة الثانية ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، 1975 م ، ص 21 .

[4] – مديحة حمدي : المعرفة الصوفية ، مرجع سابق ، ص 545 .

إلى معرفة الله تعالى بالكشف والعيان ؛ فرض عين ، كالقصد إلى الحج ...."([1]) فيؤكد الأمير عبد القادر على أن الكشـف هو سـبب معرفة الحق، فهو لديه نتيجة ضـرورية لتحقق العبد بالمعرفة بالله ، وليس للعقل فيه مدخل فإنه لا يستطيع أن يتبحر في أمور لا تخصه .

لذا يغاير الأمير عبد القادر بين أهل النظر وأهل الكشـف والوجود :"فإن أهل النظر قصـروا نظرهم على العقل والعقل خادم الحس ، فإنه لا ياخذ معلوماته إلا من الحس وقد ثبت الغلط في إدراك الحس والعقل والفكر".([2])

يتضح لنا مما سبق أن الحواس والعقل وسائل معرفية ظنية لهذا نلجأ للكشف كوسيلة للمعرفة اليقينية ومضمون هذا الكشف أنه بالرياضة الروحية يرق الحجاب بين الإنسان وخالقه حتى يزول، فيتلقى الإنسـان المعرفة تلقائيا من الله وبدون واسـطة من الحواس والعقل ([3])، أما فيما يخص أهل الكشف والوجود" الذين يأخذون عن الله فهو معلمهم ـ جل جلاله ـ فإنهم يرون بعيون بصـائرهم التي هي اصـدق وأوثق من رؤية الإبصـار ...." على حد قول الأمير عبد القادر ([4]).

وبهذا يتفق الأمير عبد القادر مع الكلاباذى السـابق عليه – في رأيي – ولكن قد رمز الأمير عبد القادر للصـوفية ونعتهم ووصـفهم بأهل الكشـف والوجود تميزاً لهم عن غيرهم من البشـر ، فهم الصـفوة وأهل الله وخاصـته وكنه اختصـاصـهم هو المعرفة والكشـف والمعاينة للمعارف وللأسـرار والحقائق الإلهية ،وهذا ما أوضـحته أ د /مديحة حمدى مؤكدة أن :فإن الكشف هو العلم الحاصل بالذوق والوجدان لأرباب القلوب ، فلا تستقل العقول بإدراكه ، وإنما

---

[1] – الأمير عبد القادر : المواقف ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 178 .

[2] – المصدر السابق ، ج2 ،ص 422.

[3] – مجدي كامل : أبو حامد الغزالي ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، 2016 ، ص 75 .

[4] – الأمير عبد القادر : المواقف ، مصدر سابق ، ج2 ، ص422 .

يمنح الله لقلب العارف به البصيرة والفراسة ليشاهد بها الحقائق والمعارف ما لا يستطيع العقل إدراكه([1]).

أهم نتائج الدراسة:

1- تفرد كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف بتأصيل لأهمية المعرفة لدى الصوفية ، كما أنه يتفرد بآراء جديرة بالاهتمام في مفهومها وموضـــوعها وأداتها ومنهجها؛ فقد كانت المعرفة عند الكلاباذي الغاية العليا من وجود الإنسان.

2- منهج الكشـــف عند الكلاباذي والأمير عبد القادر الجزائري هو منهج المعرفة الصـوفية. ومن ثم لا يسـتطيع العارف إدراكها إلا ذوقاً بنور البصـيرة. كما أثبتت الدراسـة أن الكشف منهجا يخص الصوفية وحدهم.

3- أثبتت الدراســـة اتفاق الكلاباذي مع الأمير عبد القادر الجزائري في أن المعرفة وطبيعتها ومنهجها ووسائل التحقق بها ترتبط- في الأصل- بمراتب أخلاقية وسلوكية تستلزم تطهيرا للنفس ومجاهدتها وتزكيتها.

4- يتفق الكلاباذي والأمير عبد القادر الجزائري في أن أداة المعرفة الصـــوفية هي القلب.

5- أثبتت الدراسة اتفاق الصـوفية الخُلص مع الصـوفية مع الصـوفية المتفلسفين في مفهوم وموضـــوع المعرفة ومنهجها، ومنهم الكلاباذي والأمير عبد القادر الجزائري. فتحليلهم الدقيق للمعرفة الصـوفية بصـفة خاصـة ينم عن رؤية حقيقية للتصـوف الذي يقوم على دعائم الكتاب والسنة.

[1] – مديحة حمدي : المعرفة الصوفية ، مرجع سابق ، ص 548 .

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً : مؤلفات الكلاباذي:

1- التعرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق وتعليق ، عبد الحليم محمود ، وطه عبد الباقي سرور ، الطبعة الأولى ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1424هـ ، 2004 م .

2- بحر الفؤاد المشهور بمعاني الأخبار ، مخطوط ، دار الكتب المصرية .

ثانياً : مؤلفات الأمير عبد القادر الجزائري :

3- المواقف الروحية والفيوضات السبوحية ، اعتنى الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسنى الشاذلي الدرقاوي ، دار الكتب العلمية ،الطبعة الأولى ، بيروت- لبنان، 1425 هـ ، 2004 م

ثالثاً : المصادر العربية:

4ـ أبو النصر الطوسي : اللمع ، حققه وقدمه :عبد الحليم محمود ، وطه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثة ،مصر ،1960 م .

5. أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي : منازل السائرين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية،1996 م .

6ـ أبو القاسم القشيري : الرسالة القشيرية ، تحقيق : عبد الحليم محمود ، ومحمد بن الشريف ،دار المعارف الطبعة الثانية ، القاهرة .

7. أبو حامد الغزالي : كيمياء السعادة ، تعليق : محمد محمد جابر ، مكتبة الجندي ، القاهرة .

8ـ أبو عبد الرحمن السلمي : المقدمة في التصوف ، تحقيق : يوسف زيدان ، الطبعة الأولى ، دار الجبل ، بيروت ، 1999 م .

9. شهاب الدين السهروردي : عوارف المعارف ، دار الندوة الجديدة ، بيروت .

10 . عبد القادر الجيلاني :الفتح الرباني والفيض الرحماني ، تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح ، وتوفيق على وهبة ، مكتبة الثقافة الدينية .

11ـــــ عبد القادر الجيلاني :فتوح الغيب ، حققه ،عبد العليم محمد الدرويش ، دار الهادي.

12ــ محي الدين بن عربي :رسائل بن عربي ، تحقيق ، سعيد عبد الفتاح ، الانتشار العربي .

13ــ محيى الدين بن عربي :فصوص الحكم ،شرح ،عبد الرازق القاشاني ، دار آفاق للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، 2016 م .

رابعاً : المراجع العربية :

14. إبراهيم إبراهيم يس : مدخل إلى التصوف الإسلامي ، سور الأزبكية ،2002م .

15ــ إبراهيم محمد رشاد إبراهيم : النزعة الصوفية في الإسلام عند ابن رجب الحنبلي ، جامعة جنوب الوادي ، قنا .

16ـ أبو العلا عفيفي : الثورة الروحية في الإسلام ، دار المعارف ، القاهرة ' الطبعة الأولى ، 1963 .

17ـــــ احمد محمود الجزار :الله والإنسـان عند الأمير عبد القادر الجزائري ، منشـأة المعارف ، الإسكندرية ، 1999م .

18 ـ احمد محمود الجزار :الفناء والحب الإلهي عند ابن عربي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ،2006م.

19ـــ احمد محمود الجزار : المعرفة عند ابى سعيد بن أبى الخير ، منشأة المعارف ،الإسكندرية ، 2000 م .

20ـــ احمد محمود الجزار : دراسات في التصوف الإسلامي ، دار الوفاء ، الطبعة الأولى ، الإسكندرية ،2015 .

21. احمد كمال الجزار :مختصر كتاب المواقف الروحية والفيوضات السبوحية للأمير عبد القادر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2007 .

22ـ السيد محمود أبو الفيض المنوفي : معالم الطريق إلى الله ، دار العالم الإسلامي ، القاهرة، 2014م.

23ـــ آمال محمد عامر : نظرية المعرفة عند ابن عربي ، بحث منشور ضمن مجلة كلية الآداب العدد الأول جامعة مصراته .

24ـــ آنا مارى شيمل :الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، ترجمة محمد إسماعيل السيد ، ورضا حامد قطب ، منشورات الجمل ،بغداد ،2006 .

25ـ تور أندريه :التصوف الإسلامي ، ترجمة ، عدنان عباس على ،منشورات الجمل ، الطبعة الأولى ، ألمانيا ،2003 م.

26ـــ رينولد نيكلسون :في التصوف الإسلامي وتاريخه ، نقلها وعلق عليها أبو العلا عفيفي ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، 1366 هـ ، 1947 م.

27 ـــ عبد المنعم الحفني : الموسوعة الصوفية ، مكتبة مدبولي ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ، 2006.

28 ـــ عبد الحي محمد قابيل : في التصوف الإسلامي نشأته وتطوره ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، الإسكندرية ، 2014 م .

29 ـعبد الرحمن بدوى :تاريخ التصوف الإسلامي ،من بدايته حتى نهاية القرن الثاني ، إعداد : فوزي ربيع ، دار الميزان ،القاهرة .

30ـ عواد محمود عواد سالم : الحرية عند الصوفية ، بحث منشور ضمن مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ، العدد الأربعين .

31ـــ محمد مصطفى حلمي : الحياة الروحية في الإسلام ، ، تحقيق : محمد حلمي عبد الوهاب ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، دار الكتاب المصـري ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1432هـ ، 2011 م .

32. محمد مصطفى حلمي : ابن الفارض والحب الإلهي ،دار المعارف ، 1985 .

33ـــ محمد إقبال : تجديد الفكر الديني في الإسلام ، ترجمة : محمد يوسف عرس ، تقديم : الشيماء الدمرداشي العقالي ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 2011 م .

34ـ مجدي كامل : أبو حامد الغزالي ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، 2016 .

35 مديحة حمدي : المعرفة الصوفية: دراسة في مؤلفات أحمد الجزار، بحث منشور ضمن بحوث المؤتمر السنوي الدولي الثالث لقسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، تحت عنوان: كيف نقرأ الفلسفة؟ في الإبداع ونقد النقد، والمنعقد في 7-8 نوفمبر 2017م.

36ـ مديحة حمدي : روحية الجسد وجسدية الروح عند الأمير عبد القادر الجزائري ، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، العدد 37، 2015 م

37ـــ يوسف زيدان : الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر ، دار الجيل ، الطبعة الأولى، بيروت، 1411هـ، 1991 م .

38ـــ يوسف زيدان : عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية ، الهيئة المصرية العامة للكتابة، الإسكندرية ، 1988 م .

Abstract:

The concept of knowledge and its approach to Abo Bakr AL kalabazi and Prince Abdul Qadir ALjazaery

Knowledge is one of the most important issues of ISlamic mysticism and its importance increases when compared to the opinions and ideas of sincere Sufis as well as Sufism philosophies when it shares many major issues of Sufism the most important of which are existence annihilation man and divine love . The study relied on the comparative analytical method.

Descriptors: spirit - body - knowledge - heart - soul - the Islamic philosophy - Abo Bakr AL kalabazi - Prince Abdul Qadir ALjazaery

Sufi Knowledge between Abou Bakr El Klabazy (d.380 AH) and Prince Abdl kadr Al Jazzari (d. 1300AH)

By

Dr. Madiha Hamdi Abdel Aal

professor of Islamic Philosophy

Department of Philosoph Faculty of Arts

Fayoum University

Rana Esmail saleh

Master s Researcher of Islamic Philosophy

Department of Philosoph Faculty of Arts

Fayoum University